باب
أخلاق الصحابة وشمائلهم

خلق النبيّ ﷺ
أقوال عائشة في خلقه عليه السلام

أخرج مسلم عن سعد بن هشام قال: **سألتُ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت: أخبريني عن خُلُقِ رسول الله ﷺ! فقالت: أَمَا تَقرأ القرآن؟ قلت: بلى! فقالت: كانَ خُلُقُهُ القرآن.** وأخرجه أحمد عن جبير بن نفير والحسن البصري عن عائشة نحوه، كما في البداية (٦/ ٣٥)، وأخرجه ابن سعد (١/ ٩٠) عن سعد بن هشام عن عائشة نحوه وزاد: **قال قتادة رضي الله عنه. وإنَّ القرآنَ جاء بأحْسَنِ أخلاقِ النّاس.** وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٥٦) عن جبير بن نفير عن عائشة نحوه، وابن سعد (١/ ٩٠) عن مسروق عنها نحوه.

وعند يعقوب بن سفيان عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: **سألتُ عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: كان خُلُقُهُ القرآن يرضى لِرِضاه ويَسْخطُ لِسَخطِه.** وأخرجه البيهقي عن زيد بن بابنوس قال: **قلنا لعائشة: يا أمّ المؤمنين! كيفَ كان خُلُقُ رسول الله ﷺ؟** فذكره. وفي حديثه: **ثم قالت: أتقرأ سورة المؤمنون؟ اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] إلى العشر، قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.** ورواه النسائي، كما في البداية (٦/ ٣٥).

وأخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ٥٧) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: **ما كانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا من أهله إلا قال: لَبَّيْكَ! ولذلك أنزل الله عز وجل: ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].** وعند ابن أبي شيبة عن قيس بن وهب عن رجل من بني سراة قال: **قلت لعائشة: أخْبريني عن خُلُق رسول الله ﷺ! فقالت: أما تقرأ القرآن ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قالت: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه**

(١) [٢٣/ سورة المؤمنون/ ١].
(٢) [٦٨/ سورة القلم/ ٤].

فصنعتُ له طعاماً وصنعتْ له حَفْصَةُ رضي الله عنها طعاماً فسبقتني حفصةُ فقلت للجارية: انطلقي فأكفئي[1] قَصْعَتَها! فأهوت أن تَضَعَها بين يدي النبيِّ ﷺ فَكَفَأَتها، فانكفأتِ القصعةُ فانتشر الطعام، فجمعها النبيُّ ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا، ثم بعثتُ بقصعتي فَدَفَعَها النبيُّ ﷺ إلى حفصةَ فقال: «خُذُوا ظَرْفاً[2] مَكَانَ ظَرْفِكُمْ وَكُلُوا ما فيها»! قالت فما رأيته في وجه رسول الله ﷺ! كذا في الكنز (٤/ ٤٤).

قول زيد بن ثابت في هذا الأمر

وأخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ٥٧) عن خارجة بن زيد: أنّ نفراً دخلوا على أبيه زيد بن ثابت رضي الله عنه قالوا: حدِّثنا عن بعضِ أخلاقِ النبيِّ ﷺ! فقال: كنتُ جاره فكان إذا نزل عليه الوحيُ بعثَ إليَّ فآتيه فأكْتُبُ الوَحْيَ، فكنّا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا! فكلّ هذا أحدّثكم عنه. وأخرجه الترمذي (ص ٢٥) نحوه، وكذلك البيهقي، كما في البداية (٦/ ٤٢) والطبراني كما في المجمع (٩/ ١٧) وقال: وإسناده حسن، وابن أبي داود في المصاحف وأبو يَعْلى والرُّوياني وابن عساكر، كما في المنتخب (٥/ ١٨٥) وأخرجه ابن سعد (١/ ٩٠) أيضاً نحوه.

قول صفية في هذا الأمر

وأخرج الطبراني عن صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها قالت: ما رأيتُ أحداً أحسَنَ خُلُقاً من رسول الله ﷺ! لقد رأيتُهُ وقد رَكِبَ بي من خيبر على عَجُزِ ناقته ليلاً فجعلتُ أنعَسُ فضربَ رأسي مؤخّرةَ الرَّحْلِ فَمسني بيده يقول: «يا هذه مَهْلاً! يا بِنْتَ حُيَيٍّ مَهْلاً»! حتى إذا جاء الصهباء[3] قال: «إنِّي أَعْتَذِرُ إلَيكِ يا صَفِيَّةُ مما صَنَعْتُ بِقَوْمِكِ، إنَّهُمْ قالوا لي كذا وقالوا لي كذا»[4]. قال الهيثمي (٩/ ١٥): رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى باختصار ورجالهما ثقات إلا أن الربيع ابن أخي صفية بنت حيي لم أعرفه ـ اهـ.

أقوال أنس في هذا الأمر

وأخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ٥٧) عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أشدّ الناس لطفاً، والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا من أمةٍ ولا صبيٍّ أن

---

(١) «أكفئي»: اقلبي قصعتها ليصب ما فيها.

(٢) «الظرف»: الوعاء «مختار» (ظ ر ف).

(٣) «الصهباء»: موضع على زوجة من خيبر.

(٤) «تذكر عن صفية بنت حيي أنها كانت يهودية، أخذها رسول الله ﷺ من سبي خيبر واصطفاها، وحجّبها وأعتقها وتزوّجها وقسم لها وكانت عاقلة من عقلاء النساء، راجع «أسد الغابة» (٧/ ١٧١).

يأتيه بالماء[1] فيغسل وجهه وذراعيه، وما سأله سائلٌ قطّ إلا أصغى إليه أذنه فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحدٌ بيده إلا ناوله إياها فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه. وعند مسلم (٢/ ٢٥٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **كان رسولُ الله ﷺ إذا صلّى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه، وربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها.**

وعند يعقوب بن سفيان عن أنس رضي الله عنه قال: **كان رسولُ الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرّجل لا ينزع يده حتى يكون الرجل ينزع يده من يده، وإن استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يُرَى مُقَدّماً ركبتيه بين يَدَيْ جليسٍ له.** ورواه الترمذي وابن ماجه كما في البداية (٦/ ٣٩)، وابن سعد (١/ ٩٩) نحوه: وعند أبي داود عنه قال: **ما رأيتُ رجلاً قطُّ الْتَقَمَ[2] أذُنَ النبيِ ﷺ فَيَنْحّي رأسَهُ حتى يكونَ الرجل هو الذي يُنَحّي رأسهُ، وما رأيتُ رسول الله ﷺ آخذاً بيده رجلٌ فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدَعُ يده.** تفرد به أبو داود؛ كذا في البداية (٦/ ٣٩).

أقوال أبي هريرة وأنس في مصافحة النبي أصحابه

وعند البزّار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه: **أنْ رسول الله ﷺ لم يكن أحدٌ يأخذ يده فينزع يده حتى يكونَ الرَّجُلُ هو الذي يرسله ولم يكن يرى ركبتيه أو ركبته خارجاً عن ركبة جليسه ولم يكن أحدٌ يصافحه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه،** وإسناد الطبراني حسن؛ كما قال الهيثمي (٩/ ١٥).

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: **إنْ كانتِ الوليدة[3] من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذُ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهبَ به حيث شاءت.** ورواه ابن ماجه. وعند أحمد عنه قال: **إنْ كانتِ الأمَةُ من أهل المدينة لَتَأْخُذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به في حاجتها.** ورواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه معلقاً، كما في البداية (٦/ ٣٩)، وروى مسلم في صحيحه (٢/ ٢٥٦) عن أنس: **أنْ امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسولَ! إنّ لي إليكَ حاجةً، فقال: يا أمّ فُلانٍ انظُري أيّ السِّكَكِ[4] شِئْتِ حَتّى**

---

(١) كانوا يأتونه بالماء ليتوضأ وليتبركوا بفضل وضوئه.

(٢) «التقم» هنا: أراد أنّه جعل فمه حذاء أذن النبيّ ﷺ حتى كأنها اللقمة للفم.

(٣) «الوليدة»: أي الأمة. «مختار».

(٤) «السِّكك»: جمع سِكّة، وهي الطريقة المصطفة من النخل، منها قيل للأزقة سكك لاصطفاف الدور فيها. «النهاية» (٢/ ٣٨٤).

أَقْضِي لَكِ حاجَتَكِ!» فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها. وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٥٧) عن أنس مثله. وأخرج الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: قدمتُ من سفر فأخذ رسول الله ﷺ يدي فما ترك يدي حتى تركتُ يدهُ. وفيه المجلد بن أيوب وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (٩/ ١٧).

اختياره عليه السلام أيسر الأمرين وانتقامه لله

وأخرج مالك عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمْرَيْنِ إلا أَخَذَ أَيْسَرَهما ما لم يكن إثماً، فإنْ كان إثماً كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فينتقم لله بها. وأخرجه البخاري ومسلم كما في البداية (٦/ ٣٦). وأخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، كما في الكنز (٤/ ٤٧)، وأبو نعيم في الدلائل (ص ٥٧).

وعند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ بيده خادماً له قطّ ولا امرأةً ولا ضَرَبَ بيده شيئاً إلاّ أنْ يجاهِدَ في سبيل الله ولا خُيِّرَ بين شيئين قطّ إلا كان أَحَبُّهما إليه أيسرَهما حتى يكونَ إثماً فإذا كان إثماً كان أبعدَ الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تُنْتَهَكَ حُرُماتُ اللهِ فيكونَ هُوَ ينتقمُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ. كذا في البداية (٦/ ٣٦). وأخرجه مسلم (٢/ ٢٥٦) وأبو نعيم في الدلائل مختصراً، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد والحاكم نحو حديث أحمد، كما في الكنز (٤/ ٤٧)، وعند الترمذي في الشمائل (ص ٢٥) عن عائشة قالت: ما رأيتُ رسول الله ﷺ منتصراً من مَظْلَمَةٍ ظُلِمَها قطّ ما لم يُنْتَهَكْ مِنْ مَحارِمِ اللهِ تعالى شَيْءٌ، فإذا انْتُهِكَ من محارم الله تعالى شيءٌ كان من أشدِّهم في ذلك غضباً، وما خُيِّرَ بين أمْرَيْنِ إلا اختارَ أيْسَرَهما ما لم يكن إثماً. وأخرجه أبو يعلى والحاكم، كما في الكنز (٤/ ٤٧).

ما كان عليه السلام فاحشاً ولا سخّاباً ولا سبّاباً ولا لعّاناً

وأخرج أبو داود الطيالسي عن أبي عبد الله الجدلي قال: سمعتُ عائشة رضي الله عنها وسألتُها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: لم يكن فاحشاً[1] ولا متفحّشاً[2] ولا سخّاباً[3] في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويصفح ـ أو قال: يعفو

(١) «الفاحش»: ذو الفحش في كلامه وفعاله. «النهاية» (٣/ ٤١٥).
(٢) «المتفحش»: هو الذي يتكلّف الفحش ويتعمّده. «النهاية» (٣/ ٤١٥).
(٣) «سخاباً»: صياحاً. والسخب والصخب الصياح. «النهاية» (٢/ ٣٤٩).

ويغفر، شكّ أبو داود ـ. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح؛ كذا في البداية (٦/ ٣٦)، وأخرجه ابن سعد (١/ ٩٠) عن أبي عبد الله عن عائشة نحوه وأحمد والحاكم، كما في الكنز (٤/ ٤٧).

وعند يعقوب بن سفيان عن صالح مولى التوأمة قال: **كان أبو هريرة رضي الله عنه يَنْعَتُ رسولَ الله ﷺ قال: كانَ يُقْبِلُ جميعاً وَيُدْبِرُ جميعاً، ـ بأبي وأمي لم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً ولا سخّاباً في الأسواق**، زاد آدم: **لم أرَ مِثْلَهُ قَبْلَهُ، ولم أرَ مِثْلَهُ بَعْدَهُ**. وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: **لم يكن رسول الله ﷺ سبّاباً ولا لعّاناً ولا فاحشاً، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة: «ما لَهُ تَرِبَتْ جَبِينُهُ»**[1] ورواه البخاري، وعند البخاري أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: **لم يكن النبيّ ﷺ فاحشاً ولا متفحّشاً، وكان يقول: «إنَّ مِن خِيارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أخلاقاً»**. ورواه مسلم، كذا في البداية (٦/ ٣٦).

حسن خلقه عليه السلام مع خادمه أنس

وأخرج مسلم (٢/ ٢٥٣) عن أنس رضي الله عنه قال: **لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة رضي الله عنه بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنّ أنساً غلام كَيِّس**[2] **فَلْيَخْدِمْكَ، قال: فَخَدَمْتُهُ في السَّفَرِ وَالحَضَرِ، والله! ما قال لي لشيء صنعتُه: لمَ صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لمَ لم تصنعْ هذا هكذا؟ وعنه أيضاً عن أنس قال: كان رسولُ الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: واللّهِ لا أذهبُ! وفي نفسي أنْ أذهبَ لما أمرني به نبيّ الله ﷺ. فخرجتُ حتى أمُرَّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قَبَضَ بقفاي من ورائي! قال فنظرت إليه وهو يَضْحَكُ فقال: «يا أُنَيس! أذَهَبْت حَيثُ أمَرْتُكَ». قال: قلت: نعم، أنا أذهبُ يا رسول الله! قال أنس: واللّهِ لقد خدمته تسعَ سنين ما علمته قال لشيء صنعتُهُ لمَ فعلتَ كذا وكذا؟. أو لشيء تركته: هلاّ فعلتَ كذا وكذا؟**. وعنده أيضاً عنه قال: **خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، واللّهِ! ما قال لي أفّاً قطّ، ولا قال لي لشيء: لم فعلتَ كذا؟ وهلاّ فعلت كذا؟** زاد

---

(١) «ترب الرجل»: إذا افتقر أي لصق بالتراب وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يُريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به. كما يقولون قاتله الله، وقيل معناها لله دَرُّك، وقيل أراد به المثل ليرى المأمور بذلك الجدّ وأنّه إن خالفه فقد أساء. وقال بعضهم هو دعاء على الحقيقة فإنه قد قال لعائشة رضي الله عنها تربت يمينك، لأنّه رأى الحاجة خيراً لها والأول أوجه. راجع هذا الكلام في «النهاية» (١/ ١٨٤).

(٢) «كيّس»: عاقل. «النهاية» (٤/ ٢١٧).

أبو الربيع: لشيء ليس مما يصنعه الخادم، ولم يذكر قوله: والله وأخرجه البخاري عن أنس بنحوه. وعند أحمد عن أنس قال: خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيتُ[1] عنه أو ضيعته فلامني وإنْ لامني أحدٌ من أهله إلا قال: «دَعُوهُ! فلو قُدِّرَ ـ أو قال: قُضِيَ ـ أن يكونَ كانَ». كذا في البداية (٦/ ٣٧). وأخرجه ابن سعد (٧/ ١١) عن أنس مثله.

وعند أبي نُعيم في الدلائل (ص ٥٧) عن أنس رضي الله عنه قال: خدمتُ رسول الله ﷺ سنين فما سبَّني سبَّةً قطُ ولا ضربني ضربةً ولا انتهرني[2] ولا عَبَسَ في وجهي ولا أمرني بأمرٍ فتوانيتُ فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحد من أهله قال: «دَعُوهُ! فَلَوْ قُدِّرَ شيءٌ لكانَ». وعند ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينة وأنا يومئذٍ ابنُ ثمان سنين، فذهبت بي أمي إليه فقالت: يا رسولَ الله إنَّ رجالَ الأنصار ونساءهم قد انْحَفُوكَ غيري وإني لم أجدْ ما أُتحفُكَ به إلا ابني هذا فتقبّلْه مني يخدمك ما بدا لك! فخدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين لم يضربني قطّ ولم يسبَّني ولم يعبس في وجهي. كذا في الكنز (٧/ ٩).

خلق أصحاب النبيّ ﷺ

قول ابن عمر في أبي بكر وعثمان وأبي عبيدة رضي الله عنهم

أخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ثلاثةٌ من قريش أصبحُ[3] الناس وجوهاً وأحسنُها أخلاقاً وأثبتُها حياءً إنْ حدّثوكَ لم يكْذِبُوكَ وإنْ حدَّثْتَهُمْ لم يُكَذِّبوكَ أبو بكر الصدّيق وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم. وعند الطبراني عن عبد الله بن عمر قال: ثلاثةٌ من قريش أصبحُ الناس وُجوهاً وأحسنُهُمْ خُلُقاً وأشدُّهُمْ حياءً: أبو بكر وعثمان وأبو عبيدة. كذا في الإصابة (٢/ ٢٥٣)، وقال: في سنده ابن لهيعة.

شهادته عليه السلام بحسن خلق أبي عبيدة رضي الله عنه

وأخرج يعقوب بن سفيان عن الحسن رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما منْ أحدٍ منْ أصحابي إلاَّ لو شئتُ لأخذتُ عليه في خُلُقِه ليسَ أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجرّاحِ». كذا في

(١) «فتوانيت»: تكاسلت وقصرت.
(٢) «انتهرني»: نهره وانتهره: أي زجره «مختار» (ن هـ ر).
(٣) «أصبح»: من الصباحة وهي الجمال «مختار» (ص ب ح).